أيدينا مما تولينا بغير إحداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وإنما قال ذلك لبدائع
الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح أن يقدر عليها إلا هو وعمل الأيدي استعارة
من عمل من يعملون بالأيدي **فهم لها مالكون** أي خلقناها لأجلهم فملكناها
إياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون أو
فهم لها ضابطون قاهرون من قوله أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير
إن نفرا أي لا أضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة وإلا فمن كان يقدر عليها
لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف
الجرير وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا ألزم الله سبحانه
الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل
الركوبة جمع وقرئ ركوبهم أي ذو ركوبهم أو فمن منافعها ركوبهم منافع من
الجلود والأوبار والأصواف وغير ذلك **ومشارب** من اللبن ذكرها مجملة وقد
فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا الآية والمشارب جمع مشرب
وهو موضع الشرب أو الشرب اتخذوا الآلهة طمعا في أن يتقووا بهم ويعتضدوا
بمكانهم والأمر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم
ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر أو
اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ما توهموا حيث هم
يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يجعلون وقود النار قرئ
ولا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه وأحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم
وإيذاؤهم وجفاؤهم فإنا عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وإنا مجازوهم
عليه فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم
في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن **فإن قلت** ما تقول فيمن يقول
إن قرأ قارئ إنا نعلم بالفتح انتقضت صلوته وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى

المعنى كفر **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن
والشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية
رسول الله صلى الله عليه إن الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما
تعليل والثاني أن يكون بدلا من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك أنا نعلم ما يسرون وما
يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن
تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر أن وفتحها وإنما يدوران
على تقديرك فتفصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما أنك تفصل
بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم إن قدرته كاسرا أو
فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه إلا نهي رسول الله عن الحزن على كون الله
عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا ألا ترى إلى قوله فلا تكونن
ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تدع مع الله إلها آخر قبح الله عز وجل
إنكارهم البعث تقبيحا لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على تمادي كفر الإنسان وإفراطه
في جحود النعم وعقوق الأيادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره
بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة
من الإحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة
أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج
ويمحك ويقول من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه
في ألزم وصف له وألصقه وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات
وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي أن جماعة من كفار قريش منهم أبي بن خلف
الجمحي وأبو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي
ألا ترون إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن
إليه ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيي
هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فإذا

Copyright © King Saud University